Al-Turath Al-Adabi

ISSN (P): 3005-7426, ISSN (E): 3005-7434

Vol: 02, Issue: 02 (July-Dec 2024)

https://alturath.numl.edu.pk/index.php/alturath

DOI: https://doi.org/10.52015/al-turathal-adabi.v2i2.26

Received: May 05, 2024 | Accepted: 26, 2024 | Available Online: Dec 31, 2024

الملامح البلاغية في كتاب أبي الحسن علي الندوي "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"

Rhetorical Features in Abu Hasan Ali Nadawi's Book "What Has the World Lost from the Decline of Muslims?"

الدكتور أمين علي

باحث بمرحلة الزمالة الدولية ما بعد الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها،

مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد

صفدر علي

باحث ماجستير الفلسفة، جامعة الكلية الإسلامية، بيشاور

Dr. Amin Ali

Fellow International Postdoctoral in Arabic language & literature,

International Research Institute, IIU- Islamabad

Safdar Ali

MPhil Arabic Scholar, Islamia collage university Peshawar

Abstract:

According to records, the Indian subcontinent has a long and rich history and is one of the richest places on earth in culture, science and art. It is a center of art and science. The region has produced many scholars, especially in the field of Islamic studies. Among them is Sheikh Abul Hasan Ali Nadawi, may he rest in peace. Sheikh Abul Hasan Ali Nadawi is an orphan pearl and a unique necklace

Al-Turath Al-Adabi, Department of Arabic, NUML, Islamabad, **This work is** licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

from this auspicious circle of scholars and thinkers. He is one of the most important figures of the last century. The Sheikh contributed his valuable works, well-informed views and inspiring lectures in various fields such as literature, history, propaganda and education. The Sheikh made great efforts in religion, literature, knowledge and interests. Nadawi's life was a life of continuous efforts to realize the truth, eliminate lies, lead the country out of the darkness of Western civilization. And liberate ourselves from the clutches of materialism and pornography.

This study revolves around: Rhetorical features in the book of Abul Hasan Ali al-Nadawi, may God bless him and grant him peace, "What has the world lost by the decline of Muslims?" Focusing on the following topics:

Chapter 1: Brief introduction to the life of Nadawi

Chapter 2: "What has the world lost by the decline of Muslims"?

Chapter 3: Nadawi's style and rhetorical features in his book.Research Results

Keywords: literary prose, Nadavi, rhetorical features, what did the world lose with the decline of Muslims

ملخص البحث

ومن الموثق أن منطقة شبه القارة الهندية لها تاريخ طويل من أصل قديم، وهي من أخصب الأماكن على وجه الأرض من حيث الثقافة والعلوم والفن. وكانت مركزًا للفنون والعلوم. وقد أنتجت هذه المنطقة العديد من العلماء وخاصة في مجال الدراسات الإسلامية. ومنهم الشيخ أبو الحسن علي الندوي ﷺ.

والشيخ أبو الحسن على الندوي درّة يتيمةٌ وعقد فريد من هذه الحلقة الميمونة من العلماء والمفكرين. وهو من الشخصيات البارزة في القرن الماضي، وقد أسهم الشيخ بمؤلفاته القيّمة وآرائه السديدة ومحاضراته النيرّة في مجالات متعددة، مثل الأدب والتاريخ والدعوة والتربية. وقد بذل الشيخ جهوداً مضنية في تناول الجوانب الدينية والأدبية والفكرية والدعوية، وحياة الندوي عبارة عن الجهود المتواترة في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإرشاد الأمة وإخراجها من ظلمات الحضارة الغربية وبراثن المادية والإباحية.

يدور هذا البحث حول: **الملامح البلاغية في كتاب أبي الحسن علي الندوي ﷺ"ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"** وفي هذا البحث أركز على المباحث التالية :

المبحث الأول: حياة الندوي بالإيجاز

المبحث الثاني: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" أهميته وأسلوبه

المبحث الثالث: أسلوب الندوي والسمات البلاغية في كتابه.

نتائج البحث

الكلمات المفتاحية: النثر الأدبي، الندوي، الملامح البلاغية، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

المبحث الأول: حياة الندوي بالإيجاز

هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الحيء الحسيني الندوي، ولد في قرية تكية في السادس من سنة ١٣٣٣م (١٩١٤م) في عائلة علمية.. وكان أبوه السيد عبد الحيء الحسيني من أشهر العلماء والمؤرخين في الهند. وأما أمه السيدة خير النساء بنت ضياء النبي الحسيني امرأة تقية وحافظة القرآن الكريم. توفي والده وهو في العاشرة من عمره، ونشأ تحت رعاية أخيه الأكبر. فحفظ القرآن الكريم، ودرس اللغتين الإنجليزية والعربية، وتخرج في الآداب من جامعة لكنهؤ. وفي عام ١٩٣٤م التحق بدار العلوم ندوة العلماء مدرساً. وقبل ذلك استفاد من تفسير الشيخ أحمد علي اللاهوري وزار الشاعر الكبير العلامة محمد إقبال (ت ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م) واستفاد منه كثيرا.

وكان الندوي ﵀ محظوظاً جداً. إذ وجد بيئة جيدة في طفولته مع أبوين طيبين عالمين صالحين. ولما نشأ وتربى على اللغة العربية وآدابها، وتتلمذ على أيدي الأستاذين الكبيرين في اللغة العربية وأدبها بجامعة لكهنؤ، وهما خليل محمد اليماني ومحمد تقي الدين الهلالي(١). وكان الندوي ﵀ سعيدا بأستاذه الكبير عبد القادر الراعي الفوري الذي ربّاه تربية حسنة. والأهم من ذلك أن الندوي كان متأثر بالإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ)، وأحمد بن عبد الأحد السرهندي (ت ١٠٣٤هـ).

ومن حق شبه القارة أن تفتخر بأبو الحسن علي الندوي. لأنه أحد أكبر وأشهر الأعلام الهندية في القرن العشرين. وقدم الندوي ﵀ العديد من المساهمات من خلال كتبه

القيمة ومحاضراته في المؤتمرات العلمية. وكان الندوي ﵀ بدأ كتابة المقالات العلمية منذ البداية. كان كاتباً غزير الإنتاج، وكان له منهج يختلف عن غيره من المفكرين والباحثين. ولأنه يتقن اللغات الشهيرة، فإن مهاراته الرائعة تستفيد من منبع الحضارة القديمة، وهو منغمس بعمق في تاريخ البشرية، وخاصة التاريخ الإسلامي. ومن أبرز سمات الندوي﵀ تحليله المتعمق والمفصل لأسرار الشريعة ومشاكل العالم الإسلامي.

من أشهر أعمال الندوي: "مختارات من الأدب العربي" (١٩٤٠م)، "قصص النبيين للأطفال" (١٩٤٢-١٩٤٤م)، "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" (١٩٤٧م)، "القادياني والقاديانية"، و"الفكر الإسلامي والفكر الغربي في البلاد الإسلامية" (١٩٦٥م)، و"والأركان الأربعة" (١٩٦٧م) والعديد من الكتب الأخرى التي تتناول قضايا الإسلام والمسلمين المهمة في العالم.

وتقديرًا لجهود ندوة العلماء واعترافًا بها، تم انتخابه أمينًا عامًا لندوة العلماء عام ١٩٦١م، وعُين مديراً للجلسة الافتتاحية لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢م. وفي عام ١٩٦٢م انتخب الندوي عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وفي عام ١٩٨٧م انتخب أول رئيس لرابطة الأدباء الإسلامي. وكذلك كان الندوي ﵀ عضوا في العديد من المجموعات العلمية والمنظمات الدعوية.(٢)

توفي العالم الجليل يوم الجمعة ٣٢ رمضان ١٤٢٠هـ، الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م.

المبحث الثاني: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" أهميته وأسلوبه

كما ذكرنا سابقاً، كان الندوي عبقري في اللغة العربية وآدابها، كان يمتلك اللغة العربية ويستخدمها بالشكل المناسب حسب ما يتطلبه الوضع. لأنه يتقن اللغة العربية نطقا وكتابة وآدابها. لقد وهبه الله ﷻ مهارات ممتازة في اللغة العربية لا يمكن أن يضاهيها سوى القليل من غير العرب. كان الندوي يتمتع بدرجة عالية من البلاغة العربية والأدب الرفيع، كما كان

يتمتع بمستوى عالٍ من الذوق الرفيع والحس الأدبي. وكان همزة الوصل بين شبه القارة الهندية والأمة العربية، وكان يساوي أو يتفوق على بعض العرب في الفصاحة والإبداع.

قال الشيخ يوسف القرضاوي ﷺ عن قدراته اللغوية: "إن اللغة التي كتب بها الشيخ الندوي ﷺ أو وعظ بها كانت لغة أدبية راقية، سواء قرأت كتبه أو استمعت إلى محاضراته، أعني اللغة العربية لن تشعر أن مؤلف الكتاب أو الرسالة أعجمي اللغة، رغم أنه له جذور وأصول عربية، وهو ما أخذته من طلاب الشيخ الهنود. سمعت: أنه يعتبر من أفضل الكتاب الأردية، وهو ليس كذلك المثير للدهشة، لكن الغريب حقاً أنه أيضاً من الكتاب العرب الذين يكتبون بكلمات حية وجميلة وكلمات مشرقة وساحرة."(٣)

اكتسب عمل الشيخ ندوي اعترافًا عالميًا. لأنه أتقن الموضوع ولم تكن أعماله تحتوي على أي أثر للغربة، وهي حقيقة يعترف بها كتاب مثل يوسف القرضاوي، الذي قال: "قرأنا الشيخ الندوي ورسائله التي أخذها معه عندما جاء إلى مصر عام ١٩٥١م. تضمنت "من العالم إلى جزيرة العرب"، و"بين الصورة والحقيقة" وغيرها، اكتشفنا فيها ملاحظات أدبية جديدة. حتى علق الشيخ الغزالي ﷺ فقال: هذا الدين لا يخدمه إلا النفوس الشعرية الحليقة، أما النفس الباهتة الطامسة فلا حظ لها ولم يحالفها الحظ. وكانت الرسائل نثرية بروح شعرية حتى قال الأستاذ علي الطنطاوي ﷺ في مقدمة كتاب الندوي: الطريق إلى المدينة أخي أبو الحسن! كدت أن أفقد ثقتي في الأدب عندما لم أعد أجد هذه النغمة السامية في الأدباء، من شريف الرضي إلى البرعي، وعندما قرأت كتابك وجدته نثراً فهمت هذا هو الشعر، ولكن بطريقة غير منظمة.(٤)

كان الشيخ يتذوق بالكلام الرفيع؛ ويملك حساً أدبياً رفيعا لامتلاكه ناصية اللغة ولحفظه ولاهتمامه باللغة شعرا ونثراً.

والشيخ الندوي موهوب بأسلوب أدبي رفيع، يجمع بين فكر العالم وقلب الفنان، وبين عقل المفكر وروح الشاعر، وقلما يتحقق هذا الجمع في شخص؛ إذ أنه مثل اجتماع المتضادين. والندوي

عنده حس جمالي وتذوق أدبيّ، وكان يتأثر بالكلمات الجميلة التي كان يقرأها ويرويها ويقتبسها في خطبه ومقالاته. وقال البروفيسور محمد المجذوب: "إن من ينتبه لأعمال الشيخ ندوي سيشعر أن تعبيره الأدبي له سحر لا يمكن عادة أن يصل إليه الجميع إلا الموهوبين الذين تعمقوا في أسرار الكلمة و وتفاعلت معه، وكان لقلوبهم الأثر الأكبر على ما صاغوه، وهي السمة الأساسية التي ميزت الذوق الروحي عند أوائل خريجي المدرسة القرآنية"(٥)

وأيد الأستاذ فاروق حمادة تحليل الأستاذ المجذوب وأشار إلى أساليب الأستاذ الندوي وسماته البارزة، قائلاً:"إن كتابات العلامة الندوي كلها تتميز بالعذوبة والرقة التي تتميز بها كتاباته وكتابات معاصريه، فهي مليئة بالعاطفة والطاقة، وحماس نادرٍ ما نراه في كتاب يتيح للقارئ أن يعيش الأفكار التي يتحدث عنها الأستاذ الندوي، بمشاعره وقلبه وعقله مكتوبًا (ثبات قلبه ويقينه). وما ملأ قلبه هو أنه كان رائدا في هذا المجال ومؤسس مدرسة"(٦)

أهمية كتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

بادئ ذي بدء لا بد من بيان مفهوم الأدب عند أبي الحسن ووظيفته وخصائصه عنده ثم تسلّط الأضواء على أهمية مكانة كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

يرى الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله أن الأدب: "تعبير بليغ يحرك النفس، ويثير الإعجاب، ويوسع آفاق الفكر، ويغري الإنسان بالتقليد، ويغرس الثقة في النفس"(٧). وقال: "الأدب في معناه الأوسع هو التعبير عن الحياة وعاطفتها وضميرها"(٨)، ويرى: "أن عنصري الإخلاص والصدق في الأدب هما اللذان يعطيان هذا البعد الوظيفي فيمنحونه الروح والقوة والحيوية ويجعلونه حقيقة أبدية خالدة."(٩) وقال: احتياجاتنا واحتياجات هذا العصر، وخاصة احتياجات العالم العربي. وهو أدب هادف وسليم، مفعم بالحيوية والقوة، يحمل رسالة نبيلة ومقدسة وإنسانية وإسلامية وعالمية(١٠).

وإذا تأملنا في العبارات السابقة فنجد أن الأدب عند الندوي هو أدب هادف بنَّاء، يتصف بالبلاغة وتحريك النفوس وعنصر الإثارة وتوسيع آفاق الفكر وبعث الثقة في النفس، وذلك لأن أفعال المسلم وأقواله مصونة عن اللغو والعبث، وهي وثيقة فنية تتميز بجمال التعبير والإبداع التصويري. واشترط الندوي أن يكون الأدب الإسلامي ممتعًا وهادفًا ومفيدًا، وأن يكون موضوع هذا الأدب واسع الأفق ومتعدد الأوجه. وأوضح وظيفة الأدب قائلاً: أتصور أن الأدب حي، له قلب رقيق، وضمير واع، ونفس حساسة، وعقيدة راسخة، وهدف محدد، ويتحمل الألم، إذا لم يكن الأدب كذلك، فالأدب جامد وجامد كالألعاب البهلوانية والجمبازية، إن الأدب من أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف النبيلة."(١١)

قدم الندوي أمثلة رائعة لمثل هذا الأدب العالي من كتب الأحاديث والسيرة والسلوك، ومن أراد التفصيل فعليه مراجعة المقال نظرة جديدة إلى التراث الأدبي العربي في ١٩٥٧م.

وشبه الندوي ﷺ هذا النوع من الأدب بحديقة خضراء في الصحراء العربية القاحلة، كما ضرب أمثلة للأدب الصناعي وقام بمقارانات جميلة.(١٢)

أما كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين فهو أشهر مؤلفات الشيخ الندوي، وأوسعها انتشارا في العالم الإسلامي وأسرعها نقلا إلى اللغات الشرقية والغربية وأشدها تأثيرها على المعاصرين، نشر في القاهرة عام ١٩٥٠م وقد جعله كبار العلماء والمفكرين وأساطين الأدب من أفضل مؤلفات القرن العشرين وأنفسها،

يقدم هذا الكتاب نظرة جديدة إلى التاريخ الإسلامي والتاريخ العالمي من منظور إسلامي، و منظور العالم والمؤرخ والمصلح والداعية الذي عرف التاريخ جيدًا وعرف كيف يستخدمه لتحقيق أهدافه ومعلوماته. ويرجع ذلك إلى إلمامه باللغة الإنجليزية، فضلاً عن حسه النقدي والحضاري، والدعوي، كل مواهبه يقدمها من خلال كتابه الفريد.(١٣)

وأظهر الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى إعجابه قائلا: أشهد أني قرأت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أقل من يوم وأحببته كثيرا حتى أنني كتبت في الأخيرة بعد قراءته

أن قراءة هذا الكتاب واجبة على جميع المسلمين وعمل على استعادة مجد الإسلام، وقد تأثر من أسلوب الكتاب الأستاذ الدكتور شكري فيصل رحمة الله عليه وأعجب إعجابا كبيرا وقال: "إن ما يمتاز به المؤلف ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين ذلك هو نظرته الشاملة العالية إلى تطور الحياة الإنسانية"(١٤) .

ومن المعلوم أن كل موضوع يقتضي أن يعالج بأسلوب خاص به، والكاتب القدير هو الذي يستطيع أن يتبع في كل موضوع ما يلائمه من أسلوب من بين أساليب أدبية متنوعة تختلف حسب اختلاف ما للمعاني من العمق والقوة والجزالة أو اللطف والجمال، ولا يتأتى أي أسلوب للكتابة إلا من خلال ما يستعمله الكاتب من تراكيب وتعبيرات فهي قوام كل أسلوب، ومن ذلك نجد من الأساليب ما هو أسلوب أدبي ساحر يفتن القاريء ويبعث على النشاط والسرور، ويحرّك العواطف والخواطر. وكتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين خير نموذج لهذا الأدب الراقي؛ لأن المؤلف قدم بأسلوب شيّق كأنه كتاب أدبي مع أن الموضوع موضوع فكري وتاريخي.

ومن إحدى السمات المميزة لندوي ﷺ في هذا الكتاب هي اختياره الدقيق للأسلوب. ولأن كل موضوع له أسلوب مطبوع بشكل طبيعي، فإن المعنى الفكري له أسلوب علمي، والمعنى الثقافي له أسلوب ثقافي ممزوج بالأسلوب الأدبي. وللمعنى الأدبي هناك أسلوب أدبي يختلف بشكل كبير حسب متطلبات النوع الأدبي. لقد نظر الشيخ الندوي إلى هذا التنوع الأسلوبي بعناية فائقة. فكان يمزج في التعبير عن المعاني الفكرية والعلمية الأسلوب العلمي بشيء من الجانب الأدبي، ولكن بحكمة ورعاية للمقصود.

وقد اختار الندوي في هذا الكتاب أسلوبا ملائما حسب الموضوع؛ لأن الموضوع هو تاريخ وتفكير وتحليل واستنتاج، وتنعكس هذه العناصر على الأسلوب مجتمعة تارة، وعلى الإنفراد تارة أخرى. وقد قام المؤلف بدراسة موضوعية وحلّل مصادر دراسته تحليلا إسلاميا واستنتج من زاوية نظرته الإسلامية النزيهة بأسلوب علمي متميز لا تحامل فيه ولا تعصب.

المبحث الثالث: أسلوب الندوي والسمات البلاغية في كتابه

والكتاب يتسم بمزايا عديدة، وفيما يلي تسلّط الأضواء على بعض ملامحه المشهورة: منها:

١. اللغة الراقية:

من المعلوم أن أسلوب الندوي أسلوب راق، خال من الخلل والتعقيد اللفظي والمعنوي، ومزيّن بالتشبيهات الرائعة والاستعارات الجميلة وبضروب الأمثال والكنايات. فمثلا استخدم أسلوب التشبيه لتوضيح فكرته قائلا:

"ثم لا يلبث العالم المتمدن أن يرى من هذه المواد الخام المبعثرة التي استهانت بقيمتها الأمم المعاصرة، وسخرت منها البلاد المجاورة، لا يلبث أن يرى منها كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أحسن منها اتزاناً، كأنها حلقة مفرغة لا يعرف طرفها، أو كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، كتلة فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية. كتلة هي في غنى عن العالم، وليس العالم في غنى عنها".(١٥)

ويقول في مكان آخر:

"ثم إن هذه الأمم أفلست إفلاسا شائنا في الدين والأخلاق، وقد أشربت في قلوبها حب المال والمادة، وتسلط عليها شيطان الأثرة والجشع حتى ضجت منها الحكومات وتعبت...وأصبحت الحكومة والتجار كفرسي رهان أو قرني ميدان، كل يريد أن يغلب صاحبه وينتهر غرته، وأصبح الناس حبة بين حجري الرحى لا يدرون كيف يفعلون".(١٦)

فهذه الأمثلة من مئات الأمثلة في هذا الكتاب خير دليل على براعته في استخدام أسلوب التشبيه لتوضيح فكرته وإبراز رأيه.

وكذلك استخدم أسلوب الاستعارة كثيرا فمثلا يقول:

"لقد وضع محمد ﷺ مفتاح النبوة على قفل الطبيعة البشرية، فانفتح على ما فيها من كنوز وعجائب، وقوى ومواهب، أصاب الجاهلية في مقتلها وصميمها، فأصمى

رميته، وأرغم العالم العنيد بحول الله على أن ينجو نحواً جديداً ويفتتح عهداً سعيداً، ذلك هو العهد الإسلامي الذي لا يزال غرة في جبين التاريخ"(١٧).

وقد وُفق الندوي باستعمال استعارة جميلة في عبارة راقية وجميلة ومؤثرة جدا.

ومن مظاهر اللغة الراقية عند أبي الحسن الندوي في الكتاب هو اعتماده على التصوير والتشخيص القوي المؤثر كما نجد في هذا المثال:

"ثم ضيق خناق هذه الحياة المادية المسيطرون السياسيون الذين يحتكرون وسائل الحياة والرزق والقوت، يضيقون هذه الحياة لمن شاءوا ويوسعونها لمن شاءوا، ويبسطون الرزق – زعموا – لمن شاءوا ويقدرونه لمن شاءوا، فأصبحت المدن الواسعة أضيق من جحر ضب، وأصبح الناس في بلادهم في شبه حجر كحجر السفيه واليتيم، وضاقت على الناس الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وأصبح الناس في أغلال وأصفاد من المدينة والمملكة مهددين في كل وقت بمجاعات مصطنعة وحقيقية، وحروب خارجية وداخلية، واضرابات واضطرابات أسبوعية ويومية".(١٨)

ولا يخفى على المتأمل أن العبارتين السابقتين خير نموذج لقوة أسلوب الندوي وجزالته واعتماده على عنصر التشخيص والتشبيه واستخدام أساليب القصر والحكم لتقوية كلامه وتقديم رأيه بكل قوة، وعبارات واضحة وأمثلته واقعية فلا تحتاج إلى مزيد توضيح وتفسير.

من الملامح البلاغية البارزة عند الندوي هو اهتمامه بالمحسنات اللفظية والمعنوية لتجميل العبارة وتحسينها بدون تكلّف وتصنع. ومن المعلوم أن المحسنات البديعية لها دور كبير في تحسين المعنى والشكل. وكان الندوي موفقا في هذا الجانب وعباراته تشبه عبارات الحريري والهمداني ولكن الجانب المعنوي أو المضمون كان أقوى عند الندوي منهما. فمثلا نجد ظاهرة السجع والطباق فمثلا في قوله:

"لقد ضعف المسلمون فضعفوا، وفقدوا القوة ففقدوا."(١٩). في هذا المثال، يوجد السجع بين "ضعفوا" و"فقدوا"، حيث تنتهي كل جملة بنفس النغمة الصوتية مما يضفي توازنًا موسيقيًا على النص.

ومثال الطباق: "وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة وفي اليوم رجال الغد(٢٠)". وهنا طباق بين الدنيا والآخرة وبين اليوم والغد.

وكذا المثال على الجناس وإن كان ناقصا دون تام، حيث يسطر الندوي ﷺ: "لقد كانوا في القوة قادرين، فأصبحوا في الضعف عاجزين." هنا نجد الجناس الناقص بين "قادرين" و"عاجزين" حيث تتشابه الكلمتان في الحروف "ا، ر" ولكن تختلفان في الحروف الأخرى والمعنى. وكذا يوجد بين "قادرين" وعاجزين" ظاهرة السجع.

ونجد أمثلة المقابلة في قوله:

"وقررالثائرون ان العلم والدين ضرتان لاتتصالحان وأن العقل والنظام الد يني ضد ان لا يجتمعان، فمن استقبل احدهما استدبر الآخر، ومن آمن بالأول كفر بالثاني، وإذاذكرواتلك الدماء الزكية أريقت فى سبيل العلم والتحقيق"(٢١). وهنا نجد المقابلة بين جملة اشتغل أحدهما واستدبر الآخر وآمن بالأول وكفر بالثاني.

"ورضى عامة المسلمين بأن يكونواساقة عسكرالجاهلية بدل أن يكونوا قادة الجيش الإسلامي، وسرت فيهم الأخلاق الجاهلية ومبادئ الفلسفة الأوروبية سريان الإسلامية في كثير من مظاهرها وأثارها"(٢٢). والمقابلة واضحة بين قادة الجيش الإسلامي وبين ساقة عسكر الجاهلية.

ولا يخفى على المتأمل أن الشيخ الندوي يستخدم اللغة العالية ويأتي بعبارات فيها محسنات بديعية بدون تكلف وتصنع، بل تأتي هذه المحسنات لتحسين الكلام مثل قلادة الجيد على عنق الحسناء.

١. التأثر بالقرآن الكريم

ومن ملامح الأسلوبية البارزة عند الندوي هو التأثر بالقرآن الكريم والاستشهاد بالآيات القرآنية والاقتباس منها فمثلا: التأثر بالقرآن لفظاً ومعناً والاقتباس كما هو يقول:

"وقاتلت في سبيل الاحتفاظ به قتال المستميت، وأجلبت على الداعي ﷺ بخيلها ورجلها، وجاءت بحدها وحديدها"(٢٣):﴿"**وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوْا وَاصْبِرُوْا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا**

لَشِيْءٌ يُرَاد[٢٤]﴾" ولا ننسى أن هذا الدين ظل حيا طوال هذه الفترة، محصنا ضد التحريف والتغيير، يخاف المسلمين وينعيهم على انحرافهم عن سبيله، ولا تزال منارته عالية وساطعة.

﴿"**يَهْدِيْ بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبِعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيْهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ**"﴾[٢٥]. بل على العكس من ذلك، فمن الأفضل أن يكون كل هذا مرتبطاً بالهدف الصحيح الذي من خلاله ينتقل الإنسان من مكان إلى آخر لغرض صحيح وجاد ومثمر[٢٦].

ويقول في مكان:

﴿" **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ**"﴾[٢٧]، يوفر الوقت والقوة الحديثة التي ينتفع بها الإنسان انتفاعا مشروعا، ويستخدمها لمقاصد رشيدة نافعة"[٢٨]. والتأثر بالقرآن ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى دليل، وإنّ من يقرأ كتابات الندوي فهو يحس أنه في مائدة القرآن وهذا ليس بغريب من الندوي الذي يتلذذ بأسلوب القرآن الكريم ويستمتع به. ومن أهم أسباب الإمتاع والمؤانسة في أسلوب الندوي هو التأثر الشديد بأسلوب القرآن، بل أحياناً يجعل العناوين جزءا من الآية كما في قوله: ﴿"وَيَتَعَلَّمُوْنَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ"[٢٩]﴾.

٢. الإثارة:

ومن الخصائص البارزة للندوي هو عنصر الإثارة بالعنوان فمثلا: عنون في "بين غني مطغ وفقر منس"[٣٠] والعنوان يشتمل على المقابلة وهي تؤدي عنصر الإثارة بالعنوان والتشويق والعنوان مقتبس من الحديث النبوي ﷺ وكذلك:

"من الأنانية إلى العبودية"[٣١] و"بين الرهبانية العاتية، والمادية الجامحة"[٣٢] و"الفرق بين حكم الجباية، وحكم الهداية"[٣٣]، و"لم يزل الأولان في ارتفاع وارتقاء، والآخران في انخفاض وانحطاط"[٣٤] و"ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم".[٣٥] يستخدم الندوي أسلوب المقابلة والتضاد لإثار المشاعر والعواطف لأن الأشياء تعرف بأضدادها، وبضدها تتبيّن الأشياء.

ومن المظاهر الأسلوبية البارزة عند الندوي هو اعتماده على المترادفات لإيضاح الفكرة وتقويتها.

٣. رعاية مقتضى الحال:

من المعلوم أن رعاية مقتضى الحال ركن أساسي لبلاغة الكلام، وهي تعد من صميم البلاغة. بل هي البلاغة والمقصود من رعاية مقتضى الحال هو تقديم الكلام حسب مقتضى المقام وضرورة المخاطب ومستواه العقلي والعلمي.

والشيخ الندوي خير من كان يراعي مقتضى الحال ويقدم كلامه حسب أحوال المخاطب وضرورة الموضوع. فإنه يختار أسلوبا معينا حسب الموضوع، ويعطي كل نوع من الموضوعات حقه. وكانت عنده مهارة فائقة في تناول الموضوعات وجعلها ملائمة حسب المقام والحال. وكان يستخدم الكلمات والتراكيب والصور والأفكار حسب المقام. وكانت عنده قوة الإقناع، وكثيرا ما يستعين بالأمثلة الواقعية لتفهيم المسائل وترسيخها في أذهان المخاطبين، ويستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم فمثلا:

"من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيرا من خصائصها العسكرية."(٣٦)

وأخلص كلامه : وكانت فروستها هزيلة، وكان ذلك عارًا كبيرًا وخسارة كبيرة لها، وأحد أسباب ضعفها في عالم الحرب المقدسة. ضعفوا جسديًا، ونشأ الشعب وهم يتمتعون بالترف حتى كاد الحصان العربي أن ينقرض في الجزيرة، وتم التخلي عن المصارعة والمناضلة وسباق الخيل وغيرها من أنواع الرياضة والتدريب العسكري لصالحهم. ومن المهم لقادة الشعب العربي أن يقوموا بتدريب الشباب العربي على حياة الفروسية والحياة العسكرية، وكذلك على الحياة البسيطة والحياة الصعبة والحياة الصعبة. اعملوا، احتملوا المشقة.

ولا تحتاج العبارة السابقة إلى أيّ تعليق أو توضيح لأنها توضح مما قلناه.

٤. التكرار والإطناب:

ولا يخفى على كل من له إلمام بالبلاغة والأدب أن زيادة المبنى على المعنى بالتكرار أو بأسلوب الإطناب ظاهرة من الظواهر البلاغية ومظهر من مظاهر الأدب، فقد كرر القرآن

الكريم بعض الكلمات والتراكيب والآيات والقصص أكثر من مرة لغرض من أغراض البلاغية والتشريعية وغيرها من المقاصد السامية، وليس التكرار أو الإطناب معيبا عند علماء البلاغة والأدباء إذا كان له سرٌ بلاغيٌ أو مغزي معنوي.

يمتاز أسلوب أبي الحسن الندوي بالعذوبة، وهو نثر لذيذ مثل السلسبيل بل أحلى من العسل، وكان لأسلوبه تأثير يجذب العقول، وكانت كتاباته مثل شمس في ظلام الليل، وقيل عن أسلوبه أن مبانيه أكثر من معانيه، وفيه إطناب وحشو، وهذا صحيح إلى حدما. وهناك أمثلة كثيرة يمكن أن تقدم في هذا. ولكن الشيخ الندوي اختار هذا الأسلوب لإيضاح المطالب؛ بما أنه كان أديبا مسلما له هدف نبيل وواضح، وهو نشر الخير وطمس الشر، وكان هدفه هو الإصلاح، ولذا كان يختار أحيانا هذا الأسلوب.

٥. الوضوح والتأثير:

من الملامح البارزة لأسلوب الشيخ هو الوضوح والتأثير، ولعل وضوحه أثر عن انعكاس ووضوح الفكرة، والإيمان بها وفيضها عن ذات المؤلف العميقة، وعنده قدرة عجيبة على الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر العربي واستثمار التراكيب القرآنية والعربية استثمارا واسعا واختيار العناوين وتلوينها اختيارا وتلوينا طريفين، وكل هذه سمات أسلوب مكين واضح.

وكل من يقرأ هذا الكتاب يجد أن المؤلف يجمع في أسلوبه الروح العلمي والدعوي المفهم معا، فهو أديب ومؤرخ، وباحث ومعلم وواقعي، فيؤثر في نفوس جميع طبقات الناس والعقول في آن واحد.

٦. الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

ومن الملامح البارزة في أسلوب الشيخ الندوي هو الجمع بين الأصالة والمعاصرة وهو كان يدعو إلى الاعتدال والوسطية وكان عميد الأدب الإسلامي. وقال له دكتور تقي الدين الهلابي:"إن لك أسلوبا يا أبا الحسن".

وهذه شهادة من أستاذه تدل على براعة أسلوب الندوي ونضارته. وكتب الدكتور خورشيد أحمد في مقاله عن الشيخ الندوي بعد وفاته: إن كلامه كان يصل إلى القلب

مباشرة، وأما العلامة المودودي ﷺ قال فيه: فكان يصل إلى القلب عن طريق الفكر؛ بحيث يجمع بين بلاغة الأولين وسهولته المتأخرين.

الخاتمة:

وفي نهاية البحث عن سيرة الندوي وخصائص كتابه وأسلوبه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. وصلنا إلى النتائج التالية:

- كان الندوي ﷺ شخصية موسوعية ورجلاً لامعاً. فمن ناحية دعا الأمة الإسلامية إلى الاعتصام بحبل الله، والالتزام بالسنة النبوية، والاعتزاز بالدين الإسلامي؛ ومن ناحية أخرى، دعا العلماء والأدباء على الاستفادة من الإسلام. نشر الخطب والأساليب الأدبية عن رسالة الإسلام في التسامح. فهو يجمع بين الأصالة والحداثة. وحياته خير شاهد على هذا السلوك اللطيف بين التمسك بالجذور التقليدية والاستفادة الحكيمة من الحضارة الإنسانية الحديثة، تطبيقا للحديث النبوي: "**الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق بها**"(٣٧)، فقد نقل قوله الشهير: "خذ ما صفا ودع ما كدر".
- يستخدم أسلوبًا لغويًا يتميز بالتعقيد والثراء في الفصاحة والبلاغة
- لا يوجد أي أثر للغموض أو الابتذال في جمله ومقالاته.
- تأثير أسلوبه على الفكر والضمير والعقل والشعور، فتعبيره ساحر وواضح.
- نثره يحمل روح الشعر في التأثير على المتلقي، وهو يجمع بين عقل المفكر وروح الشاعر.
- يستخدم الكلمات الدقيقة والصياغة المناسبة.
- يوجد في أسلوبه التناغم والموسيقى والتجانس.

الحواشي والمراجع

(١) شخصيات وكتب لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، ط:١، ١٩٩٠م، ص: ١٠٥.

(٢) أبو الحسن الندوي مفكر وداعية: عبد الحليم عويس، مقال منشور بمجلة الفيصل – ع: ٣٩، ١٩٨٠م ص: ٣٩.

(٣) رسائل الأعلام، محمد رابع الحسني الندوي، دار ابن كثير، ص: ٣٩.

(٤) الطريق إلى المدينة، أبو الحسن على الندوي، ص: ١٢، ط: دار العلم دمشق

(٥) ينظر، علماء ومفكرون عرفتهم للدكتور محمد المجدذوب، ج:١، ص: ١٤٦، جدة، ط: ٢، ١٩٨٣م.

(٦) ينظر مصادر السيرة النبوية، الدكتور فاروق حمودة، ص: ١١٣– ١١٤. دار القلم، الكويت، ط: ٢، ١٤٠٧هـ

(٧) نظرات في الأدب، أبو الحسن الندوي، دار البشير، عمان، ص: ٢٢.

(٨) نفس المصدر، ص: ٣٥

(٩) نفس المصدر،ص: ٣٦.

(١٠) نفس المصدر، ص: ١١٣.

(١١) نفس المصدر، ص: ١١٣.

(١٢) ينظر نظرة جديدة إلى تراث الأدب العربي، محمد عمارة، دار قتيبة

(١٣) ينظر مقدمة الدكتور القرضاوي لكتاب (قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم) ص: ٣٣.

(١٤) انظر مقدمة الدكتور لكتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ص: ١٨

(١٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص: ١٢٠

(١٦) نفس المصدر، ص: ٢٨٠.

(١٧) نفس المصدر، ص: ١٢١

(١٨) نفس المصدر، ص: ٢٨٦.

(١٩) نفس المصدر، ص: ٩٩.

(٢٠) نفس المصدر، ص: ٨٥.

(٢١) نفس المصدر، ص: ١٨٥.

(٢٢) نفس المصدر، ص: ٢٨٢

(٢٣) نفس المصدر، ص: ٩٥.

(٢٤) سورة ص، الأية: ٦

(٢٥) سورة المائدة، الأية: ١٦

(٢٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ١٢٥

(٢٧) سورة النحل، الأية:٧

(٢٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ، ص: ١٨٩

(٢٩) نفس المصدر، ص: ٢٣٧.

(٣٠) نفس المصدر، ص: ٨٥.

(٣١) نفس المصدر، ص: ١٠٦.

(٣٢) نفس المصدر، ص: ١٨٨.

(٣٣) نفس المصدر، ص: ٢٢٧.

(٣٤) نفس المصدر، ص: ٢٣٦.

(٣٥) نفس المصدر، ص: ٢٣٧

(٣٦) نفس المصدر، ص:٢٤٦

(٣٧) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ح: ٤١٦٩، دار إحياء الكتب العربية

References in Roman Script

1. Shakhṣiyyāt wa-Kutub li-Abī al-Ḥasan al-Nadwī, Dār al-Qalam, Dimashq, Ṭ 1, 1990M, Ṣ 105.
2. Abū al-Ḥasan al-Nadwī Mufakkir wa-Dā'iya: 'Abd al-Ḥalīm 'Uways, Maqāl Manshūr bi-Majallat al-Fayṣal – 'Adad 39, 1980M, Ṣ 39.
3. Rasā'il al-A'lām, Muḥammad Rābi'al-Ḥasanī al-Nadwī, Dār Ibn Kathīr, Ṣ 39.
4. Al-Ṭarīq ilā al-Madīna, Abū al-Ḥasan 'Alī al-Nadwī, Ṣ 12, Ṭ Dār al-'Ilm, Dimashq.
5. Yunzaru, 'Ulamā' wa-Mufakkirūn 'Araftuhum li-al-Duktūr Muḥammad al-Majdhūb, Juz' 1, Ṣ 146, Jidda, Ṭ 2, 1983M.
6. Yunzaru Maṣādir al-Sīra al-Nabawiyya, al-Duktūr Fārūq Ḥamūda, Ṣ 113-114, Dār al-Qalam, al-Kuwayt, Ṭ 2, 1407H.
7. Naẓarāt fī al-Adab, Abū al-Ḥasan al-Nadwī, Dār al-Bashīr, 'Ammān, Ṣ 22.
8. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 35.
9. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 36.
10. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 113.
11. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 113.
12. Yunzaru Naẓra Jadīda ilā Turāth al-Adab al-'Arabī, Muḥammad 'Amāra, Dār Qutayba.
13. Yunzaru Muqaddimat al-Duktūr al-Qarḍāwī li-Kitāb (Qīmat al-Umma al-Islāmiyya bayn al-Umam), Ṣ 33.

14. Unẓur Muqaddimat al-Duktūr li-Kitāb (Mādhā Khasira al-‘Ālam bi-Inḥiṭāṭ al-Muslimīn), Ṣ 18.
15. Mādhā Khasira al-‘Ālam bi-Inḥiṭāṭ al-Muslimīn, Ṣ 120.
16. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 280.
17. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 121.
18. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 286.
19. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 99.
20. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 85.
21. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 185.
22. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 282.
23. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 95.
24. Sūrat Ṣād, al-Āya: 6.
25. Sūrat al-Mā’ida, al-Āya: 16.
26. Mādhā Khasira al-‘Ālam bi-Inḥiṭāṭ al-Muslimīn, Ṣ 125.
27. Sūrat al-Naḥl, al-Āya: 7.
28. Mādhā Khasira al-‘Ālam bi-Inḥiṭāṭ al-Muslimīn, Ṣ 189.
29. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 237.
30. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 85.
31. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 106.
32. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 188.
33. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 227.
34. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 236.
35. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 237.
36. Nafs al-Maṣdar, Ṣ 246.
37. Sunan Ibn Mājah, Abū ‘Abd Allāh Muḥammad ibn Yazīd al-Qazwīnī, Ḥadīth 4169, Dār Iḥyā’ al-Kutub al-‘Arabiyya.